

قصة ليلي والمجنون من القصص المطروقة بين أدباء فارس، حيث نظمت هذه القصة في الأدب الفارسي أكثر من مرة، ولكن أشهرها " لنظام الكنجوي" (ت599 هـ)، حيث نظمها فيما لا يزيد على أربعة آلاف وخمسمئة بيت، امتثالاً لأمر أصدره إليه " اخستان بن منوچهر" حاكم شروان، وقد قدمها له بعد الانتهاء منها: ونبدأ " بنظام الكنجوي".

بدأ " نظام " منظومته هذه بمقدمة طويلة عن التوحيد وذكر الرسول_صلى الله عليه وسلم وذكر سبب نظمه لهذه القصة، مع نصح وإرشاد لابنه محمد، ودعوة الى التعفف والبعد عن العمل لدى الملوك، وأن أفضل عمل هو نظم الشعر.

بدأ سرد القصة عن ملك عامري يسكن في بقعة جميلة، وكان هذا الملك العظيم يقري الضيفان، ولكن لم يكن له عقب يخلفه في حكم بني عامر، فكان يتضرع الى الله أن يرزقه من يحمل اسمه، فاستجاب له الله ورزقه بولد سماه "قيس"أ، نشأ "قيس" مرفهاً حتى إذا ما وصل العاشرة من عمره، أرسله أبوه لأحد المكاتب لتحصيل العلم، وهناك التقى "قيس" "بليلى"، وتوطدت الزمالة بينهم، حتى وصلت الى حد الحب الذي زاد مع الأيام، حتى أصبح هذا الحب على الألسن تتناقل قصة هذين العاشقين، وتطور هذا الحب وأصبح "قيس" أسيراً له، حتى أخذ يؤثر على سلوكه وتصرفاته، ولاحظ عليه زولاؤه بعض مخايل الجنون فلقبوه بالمجنون، وعندما انتشرت قصة العشق هذه؛ منع أهل ليلي ابنتهم من الذهاب الى المكتب أو مقابلة "قيس" حفاظاً على سمعتهم، مما زاد هذا الأمر من أسى ولوعة "قيس" فجنّ جنونه، وأخذ ينتقل بين الوديان والقفار ينظم شعراً يفيض رقه وعذوبة، وكان اذا توجه صوب حيها، قال:

يا شمع أسرار الروح، رفقاً بفراشة روجي حتى لا تحرق بنارك، أنت الدواء لدائي، والمرهم لجرحي، قد أصابتنا العين ففرقتنا

وعندما زادت حالة "قيس" سوءاً، خطب والد "قيس" ليلي ل "قيس"، ولكن والدها رفض قائلاً:

إنه يظهر الجنون، فلا يليق بنا أن نصاهر مجنوناً

أنت تعرف كيف ينتبع العرب العيوب فماذا يقولون لو أنني أقدمت على هذا الأمر ؟

وحاول أهله أن يزوجه غيرها لكن "قيس" أرفض، وآثر الانزواء في الصحارى، وأخذ يضرب في الصحراء على مثال "وامق" من حبه لعفراء، ومع اشتداد تولفه وجنونه؛ فكر والده في الذهاب به الى الحج لعله ينسى ما أصابه، ولكن "قيس" أ عندما وصل قال:

" يا رب بعزة ربوبيتك وجلال ألوهيتك اجعلني أبلغ أقصى درجات العشق حتى يبقى ... امنحني النور من عين العشق ... فيا رب هبني - في كل لحظة- ميلاً أعظم الى "ليلي"، وخذ ما بقي من عمري، وزد في عمرها.."

وشكا أهل "ليلي" أمر "قيس" الى الوالي الذي أباح لهم دمه إذا قدم إلى حبيهم، وحاول والد "قيس" أن يثنيه ولكنه قال رافضاً: ما دام الأمر خارجاً عن نطاق اختيارنا، فإن تحسين الحال أو تغييره ليس من شأننا، وقال أيضاً :

"انكم تلموموني في البكاء وفي شأن المبتلين، إنني _أخاف أن أضحك فأحترق بضحكتي كما يحترق السحاب بضحكات البرق ..."

وحال "ليلي" كانت لا تقبل عن حال "قيس"، وكانا يتراسلان شعراً، وكانا كبلبلين يخرجان أعذب الألحان، وكانت "ليلي" شبيهة بالسرو تسري عن نفسها بالخروج بين الحين والحين إلى التنزه في فصل الربيع داخل حديقة مجاورة، وكانت الحديقة قد غصت بالورود الحمراء والصفراء، وكشف الرمان فيها عن حبوب في صدره من نار، وكان البلبل كالمجنون في هيامه بالوردة، وفي أثناء التنزه رآها شاب من قبيلة بني أسد اسمه "ابن سلام" فأعجب بها وتقدم لخطبتها فوافق والدها، ولكن حتى تبرأ من سقمها.

وفي هذه الأثناء التقى "قيس" بأحد وجهاء العرب يدعى "نوفل" وهو من أصحاب السطوة والسلطان الذي وعد "قيس" أ بالمساعدة بالمال او بالحرب، ولما رفض والدها الجاه والمال تقدم نوفل لمحاته حيث أسره، ولكنه أصر على موقفه وقال لنوفل تضرعاً: إما أن تستجيب لتضرعي وتعفيني من هذا القيد ... وإلا فإنني أقسم بالله أنني عندما أعود الى دياري سوف أقتل هذه العروس زألقي برأسها في طريق الكلاب حتى أتخلص من اسمها وعارها ... عندها عرف نوفل أن لا فائدة من والدها فأطلق صراحه، وعندما علم "قيس" بدمك حزن كثيراً، أما "ليلي" فقد ارغمت على الزفاف الى ابن سلام، وعندما حاول أن يقترب منها صدته قائلة:

" أقسم بخالقي الذي صورني على هذا الجمال لن تتال مني غرضاً وإلا أرقى دمي بسيفك " عندها ينس من وصالها وقنع منها بالرؤية.

وعندما فقد الوالد صلاح ولده، تأثر عليه ونزل به المرض حتى مات، واستمر حال "قيس" في الفيافي ينتقل من مكان لآخر، ومرّ بديار "ليلي" التي كانت تقيم بها قبل زفافها فوجد ورقة قد خط عليها اسمه مقروناً باسم

"ليلي" فمحا اسم "ليلي" وأبقى اسمه وعندما سأل عن ذلك قال: لقد اتحدنا فصرنا قلباً واحداً، ومن الفضل أن يرمز لنا بشخص واحد...والف "قيس" حياة الصحراء مع الوحوش وألفته وأحبهته وكان إذا وكان إذا ما سار سارت حوله مشكلة صفيين وكانها تحرسه. (يذكر الشاعر هنا قصة ملك مرو مع الكلاب).

وجاء "سليم العامري" خال "قيس" يحمل إليه طعاماً ولباساً عندما وجده جائعاً ممزق الثياب، ولكن "قيس" ألقى بالطعام الى الوحوش الملتفة حوله وأخبر خاله بأنه قانع من الطعام بما ترعاه الغزلان، وهنا تعجب الخال من ذلك وقص عليه "قيس" قصة شاب زاهد مرّ به ملك فعرض عليه الالتحاق بخدمته فرفض الشاب مفضلاً الفناعة بالعشب الجاف على التقيد بخدمته، وتلك هي دلالة الفناعة، وهذا هو مقام الزهد، وبعد ذلك التقت ليلي "قيس" حسب ترتيب شيخ لهذا اللقاء بناء على طلبها، وذلك في مزرعة نخيل ودونها بساط من سندس، وجاء "قيس" محاطاً بصفيين من الوحوش تحرسه، وأخبر الشيخ "ليلي" بمقدم "قيس" فحضرت، وهنا قال الشيخ "ليلي": "لن أستطيع التقدم أكثر من هذا، وإلا احترق شمع وجودي على رؤية نورها، وبعد أن انتهى المجنون من حديثه غلبه الوجد فهام في الصحراء، بينما عادت ليلي ادراجها الى الدار، وسمع شاب ثري يدعى "سلام" قصة المجنون فتوجه الى ديار المجنون لأنه هو كان عاشقاً مثله، ومكث معه فترة يسجل أشعاره، وعندما أشار "سلام" على "قيس" بالابتعاد عما هو فيه قال "قيس": "لا تظن أنني ثمل، وأني صريع الهوى، بل إنني سيد مملكة العشق، لقد تجردت من أسباب المادة وربقة الشهوات... فالعشق الطاهر خلاصة الوجود..."

وبعد فترة مات زوج "ليلي"، ثم احتجبت هي؛ لأن من عادة العرب أن تحتجب من مات زوجها لمدة قد تصل الى عامين، فمرضت وتوفيت، وعندما علم "قيس" بذلك جاء قبرها وبقي ينتحب حتى مات، فدفن مع "ليلي"، وهكذا ناما بالحب الى يوم القيامة، وبعدت عن طريقهما الملامة.

ويروي أن رجلاً اسمه "زياد" رأى في المنام "قيس" و"ليلي" في الجنة كالمكين بجوارهما شيخ، وعندما سأل الشيخ عنهما قال: بأنهما "قيس" و"ليلي"، فقد حرما الراحة في الدنيا لذا نالا مرادهما هنا، وهكذا ينعم في هذا العالم كل من لم يطعم الثمار في ذلك العالم. ويختم نظامي المنظومة بمدح حاكم شروان الذي قدم له القصة.

لقد عالج قضية "قيس" و"ليلى" الكثير من شعراء الفرس، أولهم "نظامي"، ثم "سعدى الشيرازي" ثم "خسرود هلوي"، ثم "عبد الرحمن جامي" ثم "هاتفى"، ثم "مكتبى" وغيرهم، وتحدثنا عن رؤية "قيس" و"ليلى" من وجهة نظر الشاعر "نظامي"، والآن سنتعرف على هذه القصة الشعرية من وجهة نظر "جامي"، وإن كانت أشعارهم جميعهم تشترك في الملامح العامة الفلسفية والآراء الاجتماعية الصوفية.

يقول الجامي: (سنعرض الى مقتطفات منها)

حين علم والده المسكين بخبره، لوى عنانه نحوه في سرعة الرياح، واحتضنه إليه، يغلي قلبه بحبه الأبوي وقال له: يا روح والدك، على أية حال أنت؟ ولم ألقيت بنفسك في هذا الوبال، إنك مفتون بالغرام، وقد شحبت لونك، وفي العشق خلاص قلب المرء من دوران الدهر.

والد "قيس": لا يلبق الهيام بحسنا لم يطب أصلها.

"قيس": الحسان طينتهن من الماء والتراب، إذا صفا القلب منهن فقد طاب الأصل، فمصدرهن جميعاً الحسن الأزلي، ووصلهن هو العيش الخالص، وهن مرأة ذي الجلال، وعنوان الجمال الخالد.

والد "قيس": لا ينبغي أن يقتصر المرء من نصيبه في حديقة الدهر على وردة وكفى.

"قيس": "ليلى" التي نسميها طيبة، حسبي من هذا البستان، فهي روحي وأنا لها جسم، وهي وجودي وهي حسبي.

ولما عرض والده عليه ابنة عمه قال "قيس" وهو يبكي: يا أصل وجودي، ومن تراه أقدامه لرأسي تاج، أنا في هذا الدير "كعيسى بن مريم" ... مقطوع الصلة بالرجال والنساء، لي قلب نافر من الدنيا.

وعند زواج "ليلى" من "ورد" وحاول الاقتراب منها قالت:

إنأ عني، وخذ دوني، واصبر عن جني هذا الرطب الشهي، فلم يقطف أحد من هذه النخلة ثمرة، بل لم ير امرؤ ثمراها ... وأنا جريحة القلب في انتظار من غدار هين الأسي ... فلا تغتر بطولك، ولا يبترك جاهك، قسماً بصنع الخالق المنزه، إذا تناولت مرة أخرى على كمّي لأبسطن إليك يدي شاهرة على أم رأسك سيف الانتقام، فإذا قصرت يدي من الانتقام منك، ففي مكنتي أن أقتل نفسي، فأزهق روحي بسيف الظلم لأنجو من نور عشقك.

وعن لقاء "قيس" بالخليفة يقول "جامي":

... فاشتدت رغبة الخليفة في لقائه، فكتب إلى عمال ولايته أن لا يسمع من امرئ عذراً، إذا لم يرسل إلى الخليفة من دياره ذلك العاشق العامري النسب، اللبيب الأريب الذي اشتهر بلقب المجنون.

ويبحث عنه رسل الخليفة حتى يجدوه ويطلبون منه الحضور معهم فيرفض، فيقول أحدهم له: حذار من التناول، فيجيب "قيس": "لست ممن يذله الطمع ... فلست أهلاً لمجالسة الخليفة، والعاشق فوق الخلق، إذ يحدهم في أمورهم الطمع والحرص، وقد تخلص العاشق من كلتا الخصلتين فتحرر من عناء العالم. فيقول أحدهم: تحاشى غضب الخليفة لئلا يهدر دمك بدون حجة. فيجيب "قيس": "أما وقد استباح العشق دمي فكيف يخضعني سيف الخلق.

وعندما يسوا منه شذوا وثاقه على ناقة وأخذه معهم، وهنا يقول "قيس":

أنا مشدود الوثاق بحلقات غدائر الحبيب، فقيدي نوائب شعورها كالمسك ... وإذا رنت في قدمي حلقات قيود العشق سرّ منها العاشقون في حلقاتهم.

وعندما وصلوا به، أعطوا حماماً دافئاً، وألبسوه حلة جديدة وطروره، وأحضره مجلس الخليفة، ولكن "قيساً" رأى أنه في مقام مهين، فأخذته نوبة وجد صوفي، فمزق خلعتة، ولم ينس بل ركن الى الصمت، ويعرض الخليفة عليه المال والجواهر، ولكن "قيساً" يلجأ الى الهرب والفرار من مجلس الخليفة.

وتكتب "ليلي" رسالة وتنتظر من ترسلها معه، فيمر عربي على راحلته فتوقفه، وتسأله من أين هو، وعندما علمت أنه من نجد ويعرف "قيساً" طلبت منه أن يأخذ معه هذه الرسالة، وستنتظر من "قيس" رسالة جوابية بعد أن أعلمت الأعرابي عن نفسها.

ويعيد "جامي" في قصة "ليلي" مع أهلها إلى ديارها لتلتقي مع "قيس" اللقاء الخير، حيث وجدت "قيساً" قد تحول عنها وأصبحت لا قيمة لها عنده، لأنها لم تعد سوى وسيلة أوصلته إلى الغاية وهو الفناء في حب الله، وهو الانتقال من الحب الإنساني إلى العشق الإلهي.

أما سعدي الشيرازي فقد خصص لموضوع "ليلي" والمجنون قطعيتين في كتابيه: "بستان" و "لكستان"، فما قاله في كتابه بستان:

" قال رجل للمجنون: أيها الجدود الطيب الأثر، ماذا حدث لك حتى لم تعد تحضر الى الحي" فلعل صورة العشق تبرح رأك، ولعل خيالها يزايك، فلا يبقى في قلبها لك من حب، فصااااح المسكين منتحباً على سماع كلامه ، وقال له: هلا تنزع يدك من أذني، فقلبي نهب الآلام، فأغرب عني، ولا تلقى انت ايضا بالملح فوق جراحي، فليس النأي دليلاً على الصبر، غز كثيراً ما يكون النأي وليد الضرورة.

فقال له الرجل: ايها الوفي الطبع، الميمون النقيية، قل ما عندك من رسالة "ليلي"، فاجابه المجنون: لا تذكر اسمي أمام الحبيبة فمن الحيف أن يذكر اسمي بحضرتها.

اما في كتابه لكستان فقال:

" حكي لأحد ملوك العرب حديث "ليلي" والمجنون، وكيف اضطربت حاله، وافلتت من يده زمام اختياره، فولى وجهه شطر الفيافي، على الرغم مما هو عليه من كمال الفضل والبلاغة، فأمر الملك باحضاره، وأخذ يلومه قائلاً: ماذا رأيت من خلل في شرف الانسان حتى تطبعت بخلق الحيوان، وفضلت ترك عيش الأدميين؟ فصاح المجنون منتحباً:

ورب صدجيق لامني في ودادها ألم رها يوماً فيوضح لي عذري

وفي القطعة الفارسية يقول: يا ليت من يتتبعون عيوبي يرون وجهك يا غاصبة قلبي ليقطعوا من غير وعي أيديهم بدل المتكا حين تطلعين عليهم.

.....وأدرك المجنون بفراسته ما هو بخاطر الملك، فقال له: أيها الملك، يجب أن تنتظر الى "ليلي" من محاجر عين المجنون.

أما أمير خسرو الدهلوي فيبدأ قصته بمناجاة الله ومدح الرسول، وذكر اسرائه ومعراجه، ثم بقصائد أخرى فيها مدح للسلطان "علاء الدين محمد" ولبعض معاصريه، ثم يذكر ذلك اليوم السعيد الذي رزق فيه والد "قيس" ابنا كمان قرّة عينه، حيث يرسله أبوه فيما بعد الى المكتب الذي فيه بنون وبنات، ومن بين البنات "ليلي" ذات خالين لنقطتي اسمها، وهي ضاحكة السن طليقة الوجه. وكان "قيس" أسير حب "ليلي" كما وقعت هي في حبه، وعرف الناس حبهما، فمنعت "ليلي" من الذهاب الى المكتب، وبعد طول انتظار، ترك "قيس" البيت الى الفيافي ومزق ثيابه وأضحى مشرد العقل، فقلب بالمجنون، ويرفض والد "ليلي" خطبة والد "قيس" "ليلي"، بحجة أنه بما اشتهر به من الجنون ليس أهلاً للمصاهرة، ثم يجعل الشاعر والد "قيس" هو الذ يذهب للأمير "توفل" يطلب العون والوساطة، ويكتب المير رسالة الى والد "ليلي" يطلب منه قرانها بقيس، ولكنه يرفض، فيجهز الأمير

جيشاً لمحاربة والد ليلي، ولكن والد "قيس" يرجوه بوقف محاربة والد "ليلي"، فيستجيب الأمير له وينفض يده من الموضوع، والشاعر يجعل "قيساً" يذهب الى أرض المعركة فيغمى عليه من منظر القتلى، وبعد ذلك يلتقي العاشقان ويتبادلان أحاديث الحب، ثم يعود ليهيم في الصحراء، والشاعر هنا يجعل قيساً يتزوج من فتاة اخرى يبيت معها ليلة واحدة وعاتبته "ليلي" على هذا الزواج ولكنه يخبرها أنه طلقها.

والشاعر في زواج "قيس" يسلك مسلكاً فريداً في قصته، ثم يهيم في الصحراء، وتراه بعد ذلك يناجي كلباً؛ لأن الكلب مرّ بديار الحبيب ونعم بالنظر اليها، وترى "ليلي" المجنون فيمنامها متعباً، فما عن صحت من نومها الا امتطت راحلة سارت بها بين الجبال تبحث عنه حتى وجدته طريحاً فوق الصخور، فأخذت تنفض الغبار عن جسده وأفاق "قيس" وتبادلا الشكوى، وابحا روحاً في جسدين كأنهما شجرة سرو، ثم ودعته وعادت، وبينما هي تجلس مع صديقاتها في مزرعة نخيل مرّ بهن من أخبرهن بأن المجنون قد مات، وكان بذلك مازحاً فصدقت "ليلي" الخبر وأغمي عليها ومرضت وماتت، ثم يبكي الناظم موت أم المجنون وأخيه الصغير في شعر عاطفي ليختم بذلك قصته.

أما الشاعر " " والمجنون، بأن والد "قيس" تأخر به العمر ولم يرزق بولد، ثم يرزق بولد أسماه "قيساً"، وكان قيس دائم البكاء لا يستريح مع مربيته إلى أن حملته يوماً حسناً بارعة الجمال فكف عن البكاء، ولما ضمته إلى وجهها صاح متهللاً مسروراً، فعرف القوم أنه يستريح للوجه الجميل وأنه عندما يكبر سيجن جنونه من الحب، ويذهب "قيس" إلى المكتب الذي تتعلم فيه "ليلي" فيقع في حبها، ثم تحجب عنه فيهم في الجبال، ويشير شيوخ القبيلة على أبيه بخطبة "ليلي" له ولكن والدها يرفض بحجة أنه مجنون، فيحضر القوم "قيساً" ليبرهنوا له أنه كامل العقل ويجلسون معهم، ولكنه سرعان ما يرى كلباً على مقربة منهم فيسرع نحوه يناجيه فيضحك منه أهل "ليلي" ويرفضون الخطبة، ثم يخطب ابن سلام "ليلي" لابنه وتزف إليه ولكنها تزجره ولا تسمح له بالاقتراب منها فطلقها ويعاتب المجنون ليلي وتجيبه على معاتبته كما مرّ في قصة "نظامي" "وخسر".

ويحاول الأمير "نوفل" التوسط "لقيس"، ولكن والدها يرفض؛ فيحاربه فتقع "ليلي" أسيرة في قبضته، ولكنه حين يراها يشغف بها ويفكر في الاستئثار بها دون "قيس"، فيشرع في عقد نكاحها ويريد أن يضع السم "لقيس" ليتخلص منه ولكن الخادم يسهو ويقدم السم لسيدة "نوفل" فيموت وتعود "ليلي" إلى أهلها، ويهيم "قيس" في الجبال، واليأس يعصف "ليلي" فتمرض وتموت، ثم يحتضر هو على أثرها، ونرى الشاعر يتخيل جبل نجد مكسواً بالثلوج ويصف "قيساً" كيف يسير عليه، ويضفي "هاتفي" صبغة المتصوف الذي اهتدى إلى الحقيقة عن طريق العشق كما فعل "نظامي" و "الجامي"، فما قاله: قد سلك طريق الهداية ذلك المجنون الذي كان في عشقه آية، وعن "ليلي" فيقول: تلك السروة الفريدة في جمالها، وكانت تقول: أيهذا الشبيه بالشمع الذي يذيب الروح.....

(2) المرجع السابق. ص: 163 - 168. (ملخص)

وهو ابن اخت عبد الرحمن الجامي، ولد في ضواحي هراة عام 1521م، ألف ليلة والمجنون، توفي عام 1521م.

نماذج من شعر نظامي الكنجوي

دعاء المجنون أمام الكعبة:-

يا رب نجائي خدائيت وأنكه بكمال بادشاطيت

الترجمة : يا رب، بعظمة ألوهيتك، وبكمال ملكيتك.

كنز عشق بغايتي رسانم كوماند أكرجه من غانم

الترجمة : أوصلني في العشق الى منتهاه، وأن يبقى (يخلد) وان كنت لا أبقى.

از جشمه عشق ده مرانور أو اين سرمه مكن زجشم من دور

الترجمة : وهب لي من نبع العشق نوراً ولا تبعد هذا الكحل عن عيني

كرجه زشراب عشق مستم عاشق ترازين كنم كه هستم

الترجمة : يقولون ارتدع عن طبع العشق واطرد حب ليلي من قلبك

ومن شعره في وصية ليلي عند اقتراب اجلها.

خون كن كفنم كه شهيدم تاباشد رنك روز عيدم

الترجمة : اجعلي كفني أحمر لأنني شهيدة، حتى يكون لون يوم عيدي.

ارسته كن عروس وارم بسبار بخك برده دارم

الترجمة : زينيني مثل العروس، واودعيني التراب مستورة الوجه.

آواره من جوكردد اكاه كآواره شدم من ازوطن كاه

الترجمة: وعندما يعلم شريدي أنني ارتحلت عن الوطن.

دانم كه زاره سوكواری آيد سلام اين عمارى

الترجمة : أعلم أنه سوف يأتي من الطريق الى مرقدني ليلقي بالتحية.

جون برسرخاك من نشيند مه جويد ليك خاك بيند

الترجمة : وعندما يجلس على ترابي (قبري) سوف يبحث عن القمر، ولكن لن يجد غير التراب.

من خلال الأشعار السابقة لشعراء فارس، نجد أنهم كانوا يعتقدون أن العاشق يرتقي من الحب الانساني للجمال، الى الحب الحقيقي (حب الله) تعالى، وأن الواصل الى الحب الحقيقي لا يكون الا عن طريق فتاة جميلة طاهرة عفة، فكانت "ليلي" واسطة في حب المجنون للجمال الالهي وهذا ما جعل الكتاب والشعراء الفرس أصحاب الاتجاه الصوفي يعدون المجنون صوفياً كبيراً نظموا حوله منظومات فارسية متعددة جعلوا قصته محور شعرهم الصوفي.

وسأعرض هذا الموضوع ضمن الامور التالية :

• نجد ان قصة " قيس وليلى " حملت اسم "ليلى" والمجنون في الأدب الفارسي ، وان كلمة المجنون عند العرب غيرها في الادب الفارسي ، فالعرب أطلقوا كلمة على "قيس" عندما رأوا منه بعض التصرفات التي تخرجه عن دائرة العقلاء ، بينما الفرس قصدوا منها مصطلحاً عالياً لدرجة من التصوف ، وهي تعني : الخروج عن سلطان العقل وقواعده والانتقال الى سلطان القلب.

• الشخصيات :-

الشخصيات في الرواية العربية : "قيس" ، "ليلى" ، والد "قيس" ، والد "ليلى" ، "السلطان" ، "ورد" ، "ورقة بن مساحق" ، "عمر بن عبدالرحمن بن عوف" ، "قيس بن ذريح" صديق "قيس" . الشخصيات في الرواية الفارسية : "قيس" ، "ليلى" ، والد "قيس" ، والد "ليلى" ، "سليم العامري" خال "قيس" ، "ابن سلام" صديق "قيس" ، والامير "توفل" ، "وابن سلام" الزوج احياناً ، ووالدة "قيس" . أما عند "جامي" فيضيف شخصية الخليفة ورسله.

لهذا نلاحظ اختلاف الشخصيات في بعضها عند الفرس عن العرب ، وطبعاً هذا التغيير سيستبعه تغيير في الأحداث والروايات والتصرفات ، وهذه الشخصيات أيضاً قد تختلف في أدوارها فمثلاً نرى "هاتفي" ينفرد بأن الأمير "توفل" يأسر "ليلى" ويحاول الزواج منها .

• الهدف: تهدف هذه القصة في مبناها العربي الى اظهار قيمة الحب في معناه العذري العفيف الطاهر ، وكيف تمكن من قلب هذين العاشقين.

أما في الادب الفارسي فقد تم تحويل هذه الحب من نظرة حب عفيف الى حب صوفي ، وتم فلسفته وصياغته من وجهة نظر الصوفية.

وقد انفردت قصة المجنون وأخباره بالانتقال الى الادب الفارسي دون بقية العذريين ، لأن كبار الشعراء الذين عالجوا تلك القصة في الادب الفارسي كانوا من الصوفية ، فقد أحب "قيس" "ليلى" وشبب بها فحيل بينهما ، وظل بقية حياته ينشد وصالها في غير طائل ، فكان ذلك داعياً الى أبعد حدود التسامي ، فوجد الصوفية في أشعاره وأخباره من هذه الناحية مجالاً خصباً لحياتهم وأفكارهم. (1)

• الأحداث : أضاف الشاعر الكبير "نظامي الكنجوي" أحداثاً جديدة لم تكن في الرواية العربية منها :
- لقد ذكر "قيساً" على انه كان ابن ملك عظيم ليس له ولد ، فأخذ يبتهل الى الله لكي يرزقه وريثاً في عرشه ودياره ، الى حقق الله له أمنيته وأنعم عليه "بقيس".
- كذلك جعل "الكنجوي" منطقة اللقاء بين "قيس" و "ليلى" هو المكتب للدراسة وطلب العلم ، في حين انها في الرواية العربية كانت في البادية ومع رعي الإبل ، كما جعل سبب رفض والد "ليلى" "لقيس" لأنه مجنون - في حين النص العربي يرى : لأنه شبب بها وفي عادة العرب من يشبب لا يزوج بمن شبب بها.

- كذلك تحدث "الكنجوي" عن بيئة هذه الرواية أنها تمت في البداية في ظل الحضارة والتمدن والحدائق ، خاصة عندما كان يصف أماكن اجتماع "ليلي" "بقيس" حيث الورود والازهار والسندس الاخضر وكذلك فعل غيره من الشعراء وإن كانوا يميلون الى التحدث عن البيئة العربية.
- ادخل "الكنجوي" في قصته تشبيهه "لقيس" وحبه بقصة "وامق والعفراء" ، التي نظمها الشاعر الفارسي العنصري ، وكذلك حديثه عن ملك مرو وتربيته للكلاب وتدريبها على الفتك بمن يغضب منه، وهذان الأمران لم يكونا موجودين في الرواية العربية.
- مناجاة "قيس" للغراب حتى يكون رسوله مع "ليلي" ، مع العلم أن الغراب عند العرب نذير شؤم وينفر منه العرب ، على غير ذلك عند الفرس.
- الحديث عن الحرب والمعركة التي دارت بين "توفل" وأهل "ليلي" وأسر والدها ، هذا لم يكن له وجود في الواية العربية ، كذلك أسر "ليلي" عند "هاتفني" من قبل "توفل" لا وجود له عند غيره.
- رفضت "ليلي" أن تمكن زوجها منها ، ولكن في الأصل العربي ما يفيد أنه تم الزواج العادي، وهذا ما أكدته زوجها "لقيس" عندما سأله "قيس" : بربك هل ضمنت ليلي فقال زوجها : اللهم اذ حلقتني ، فنعم.

(1) محمد غنيمي هلال، الحياة العاطفية. ص: 247-248

أما الشاعر "الجامي" فقد أورد أحداثاً لم تكن موجودة في الرواية العربية ولا في رواية "نظامي كنجوي"، ومن هذه الأحداث: إصرار الخليفة على مقابلة "قيس" وما جر من حديث مع رسل الخليفة "وقيس" عند إحضاره، وكيف أحضروه وكيف قابل الخليفة وكيف هرب، كذلك ذكرت الروايات الفارسية أن "ليلي" تزوجت من "ابن سلام" في حين ان الروايات العربية تؤكد أن اسمه "ورد".

- هناك شبه إجماع عند شعراء الفرس على أن سبب رفض والد "ليلي" هو كون "قيس" قد جن، في في النص العربي لأنه شيب بها.

• النهاية: هناك تشابه تقريباً بين النهاية العربية لقصة "قيس" و "ليلي" مع قصة "نظامي كنجوي" ولكننا نرى "جامي" يجعل نهايتها صوفية حيث ينتقل "قيس" من حبه "ليلي" الى الحب والعشق الإلهي ويتخلى عن "ليلي" وأنها أصبحت لا قيمة لها، وأنها كانت الوسيلة للوصول لحبه الإلهي. وترى "هاتقي" يميت "ليلي" بعد طلاقها يأساً دون أن يمسه من تزوج بها.

• اللغة والاسلوب: استخدمت الرواية العربية أسلوباً ولغة عادية تتناسب إلى حد بعيد مع ما كان سائداً في عصر حدوث القصة، حيث المعجم اللغوي سهل وان كان يميل الى التعقيد في بعض الألفاظ الشعرية، الصور كانت صوراً غزلية، وكانت في أغلبها حسية وإن مالت في بعض المواقف الى المعنوية، وتجمعت الألفاظ في الصور والمعاني لتؤلف مشاهد حزينة أليمة تصور مواقف الحب في مشاعر رقيقة مرهفة ولكن في الادب الفارسي نجد الورود والحدايق والتشبيهات بالسرو والبلايل، وهو مالم يكن في الاصل العربي لكن هذا المعجم وهذه المعاني وهذا الاسلوب نراه في الادب الفارسي لهذه القصة يتحول كله الى الصوفية، حتى عنوان القصة (ليلي والمجنون) يأخذ بعداً صوفياً.

• المنحى الصوفي لقصة "ليلي" والمجنون في الأدب الفارسي:

انتقل الغرض الرئيس الذي دارت حوله القصة من الحب العذري في الأصل الى العشق الصوفي في الادب الفارسي، "فقيس لم يحب "ليلي" ليتزوجها، بل كان يحبها للحب نفسه، ولأنها أهل لكل حب، فاذا كان "قيس" قد أحبها لحاجة في نفسه، فقد أصبح العشق يملك عليه كل وجوده وليس له فيه اختيار، فقد قال: "ما دام الأمر خاجاً عن نطاق اختيارنا، فان تحسين الحال أو تغييره ليس من شأننا"، ثم قال: "بل إنني سيد مملكة العشق... فالعشق الطاهر خلاصة الوجود والعشق نار وأنا له عود".

وعند تعلقه بأستار الكعبة قال: "يا رب بعزة ربوبيتك وجلال ألوهيتك اجعلني أبلغ اقصى درجات العشق حتى يبقى حبي بعد فنائي... امنحني النور من عين العشق.... فإنني أدعوك أن تجعلني أكثر عشقاً مما أنا فيه ما دمت حياً".

وغاية العشق الصوفي في الاتحاد بين قلبي العاشق والمعشوق و وإن لم يتم وصال مادي ما قد أشار اليه "نظامي"، عندما محا "قيس" اسم "ليلي"، وعندما سئل عن ذلك قال: لقد اتحدنا فصرنا قلباً واحداً....

ومن المعاني الصوفية التي ركز عليها "نظامي" وغيره قصة العزوبية وإصرار "قيس" على رفض أي زواج، والزواج عن المتصوفة هو أحد العلائق الدنيوية التي تشغل عن العبادة، وكذلك عزوبية "ليلي" رغم زواجها فقد رفضت ان تمكن زوجها منها، وهذا ما أكدته كل من "نظامي كنجوي" و "جامي".

ومن المعاني الصوفية تجنب أكل اللحم والاعتماد على العشب وهذا الذي ألزم "قيس" به نفسه، وهذا هو مقام الزاهد.

كذلك من أخلاق الصوفية: عطف المجنون كصوفي على الحيوان، وما نتج عنه من ألفة ومحبة بين المجنون وبين الحيوانات المفترسة، وهذا يعتبره المتصوفة من الكرامات كشيوخ التصوف. ويذكر الدكتور "محمد غنيمي هلال" صفات أخرى لها دلالات صوفية(1) ككثرة الاغماء التي اتصف بها مجنون "ليلي" والاعماء عند الصوفية نوع من العبادة؛ لأنه اساغراق من الصوفي في شعوره المقدس بعظمة الله، كذلك ذكروا له رقة

المراجع:

1. ابراهيم، عبدالحميد، المصادر التاريخية في مسرحية مجنون ليلي، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الاول ديسمبر سنة 1982م.
2. الأعشى، ديوانه، حققه: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، (د.ط.).(د.ت)
3. بدير، حلمي، الأدب المقارن، بحوث ودراسات، دار الوفاء، (د.ط)
4. الاصفهاني، ابو الفرج، الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط2 سنة 1995م.
5. التونجي، محمد، الأداب المقارنة، دار الجيل، ط1 سنة 1995م.
6. جمعة، د.يديع، محمد، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر/ بيروت- ط2 سنة 1980م.
7. خفاجي، محمد عبدالمنعم، دراسات في الأدب المقارن، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، ط1، ج2.

8. دراز ، سيزار قاسم، الجنون بين أرازموس والنيسابوري، مجلة البلاغة المقارنة، عدد14، سنة 1994م.
9. الشيرازي، أريج البستان، ترجمة . د. أمين بدوي ، دار الشروق.
10. الصبح ، سفاح علي محمد ، شعر قيس بن الملوح، جامعة مؤتة سنة 1998م. رسالتو ماجستير(مخطوطة)
11. قنديل ، اسعاد عبدالهادي ، فنون الشعر الفارسي، مكتبة سعيد رأفت.
12. كفاي، محمد عبدالسلام، في الأدب المقارن ، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، دار النهضة العربية، بيروت سنة 1972م.
13. ابو مغلي ، محمد وصفي ، دراسات في اللغة الشعر والنثر الفارسي، جزء 1 مكتبة جامعة البصرة .
14. هلال ، محمد غنيمي، الأدب المقارن ، دار الثقافة، ودار العودة بيروت ، ط3.
15. هلال ، محمد غنيمي ، الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، ط2.
16. هلال ، محمد غنيمي ، مجنون ليلي بين الأدب العربي والأدب الفارسي ، مجلة فصول، المجلد ، الثالث، العدد الثالث ، الجزء الاول سنة 1983م.

منظومته، في باب الخالص، إذ مهّد الطريق لغيره من شعراء فارس و لشعراء من لغات أخرى أن يدخلوا هذه القصة في مجال الأدب(1).

● من القومية إلى العالمية: وتأثرت آداب شرقية بقصة " ليلي " و المجنون العربية، فاستطاعت أن تنطلق من مجالها الضيق إلى الأفق الرحب في آداب الأمم الأخرى، فعشق فتى ظاهرة اجتماعية معروفة، و لكن المثالية في هذا الحب، و الصراع الذي عاناه العاشقان ... جعل القصة ذات جاذبية تأخذ بالباب سامعيها عرباً و غير عرب، و الفرس قوم يحبون نظم الروايات شعراً ، و ألقت عدة روايات شعرية تحت عنوان "ليلي و المجنون" و لكنهم طوروا في أحداث القصة و طعموها بالروح الصوفية و بعد " نظامي " جاء "سعدي شيرازي" ثم تبعه " جامي " و " هاتفي" و غيرهم في نظم هذه القصة بالفارسية، ثم انتقلت هذه الشهرة إلى "الهند" فنظمها " أمير حسن دهلوي" (ت 725هجري) بعد آلاف من الأبيات، ثم نظمها عشرات من الشعراء الأتراك أشهرهم "شاهدي الأذرنوي"، و " محمد سليمان الفضولي" (ت 963هجري) و في العصر الحديث تم نظم مسرحية "قيس و ليلي" تأثراً بالمسرح الفرنسي. (2)

● التأثير العكسي وهو ما تأثر به أمير الشعراء "أحمد شوقي" حيث ألف مسرحية "مجنون ليلي" متأثراً بالنصوص الفارسية على الأغلب ، إذ أنه وضع أول مسرحية لهذا العنوان بالعربية، وقد اخذ بعض الأسماء و الحوار من الأدبين العربي و الفارسي.

إن منطقة التأثير و التأثير واضحة و واسعة في هذه القصة العربية التي نجد لها تأثيراً واسعاً في الأدب الفارسي على كافة الأمور و المستويات بدءاً بأسماء الشخصيات، و مروراً بأسماء الأماكن و الأحداث، و انتهاءً بنهاية القصة و إن حدث بعض التغيير في الأسماء و طريقة عرض الأحداث، و أسلوب السرد يبقى واسعاً و أكيداً.

و لقد بقي الطابع العربي لهيكل القصة واضحاً في مجرى حوادثها، و كان شعراء الفرس على اختلافهم يقصون هذه الأخبار على أنها وقائع جرت في البيئة العربية، و أثرت في أشخاص أبطالها، و انتهت في تسلسلها إلى خاتمة كانت نتيجة منطقية لما سبقها من أحداث و تبع استعارة الموضوع من الأدب العربي على ذلك النحو أن استعمار شعراء

1. بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، ص: 322.
2. محمد التو نجي، الأدب المقارنة، دار الجيل، بيروت "1" سنة 1995، ص 113- 114.

الفرس كثيراً من خواص البيئة العربية و عاداتها و مناظرها ، لكي يضعوا في قابلها تلك الأحداث التي تكوّن القصة، و الشاعر "هاتفي" كان أقل الشعراء الفرس احتفاء بوصف البيئة العربية، أما "عبد الرحمن الجامي" فكانت قصته أغنى القصص الفارسية في وصف البيئة العربية، و تسربت من قصة "ليلي" إلى الأدب الفارسي عادات عربية و صفها شعراؤهم كالتشاؤم و التفاؤل. كما أن الطابع الحب العذري و ما نتبعه من معان أدبية اقتبسها شعراء الفرس من الأدب العربي بقيت حديثاً مستمراً عن الحب العف الذي يبعد عن الغايات الحسية، وهذا ما اشترك فيه الكير من شعرائهم الذي أوصلوه إلى المثالية في الحب، كذلك انتقلت إلى الأدب الفارسي من الأدب العربي الخصائص التي تدل على حدة العاطفة، واحتدامها لدى المحبين العذريين، كمخاطبة الطير و الحيوان و الجماد و التعامل مع الطباء، و مناجاة الرياح كما فعل "خسرو الدهلوي".(1)

من هنا نرى مدى تأثير أدباء الفرس الواسع بهذه القصة و كيف استطاع قصة "ليلي و الجنون" أن تمت تأثيرها الفارسي من خلال شعراء استطاعوا أن يحاولوا هذه الأحداث و الأفكار لهذه القصة العربية إلى منظومات شعرية طويلة و معبرة، ليرسخوا من خلالها الأفكار و المعاني الصوفية التي الصوفية التي يميلون إليها و يعيشونها .

إن التأثير بهذه القصة العربية من قبل أدباء الفرس كان واضحاً و مباشراً في الأحداث و الشخصيات و المصطلحات و غيرها.....مما جعل هذه القصة تعبيراً صادقاً و تحدثت منطقة واسعة في مجال الأدب المقارن بين الأدبين العربي و الفارسي.

ومما زاد التأثير و التأثر و التبادل اللغوي و الثقافي هو تلك الصلات و الروابط التاريخية و الجغرافية و السياسية و الدينية التي ربط بين الشعبين العربي و الفارسي. و لا أن إطلاع العرب على حواجز الشرق الفارسية و الهندية و غيرها، و قد ساهم مساهمة فعالة في مجال التأثير في الأعمال الأدبية و طرق التفكير و مناهج البحث و الدراسة.(2)

و طبيعي أن الأدب المقارن لا يحفل بدراسة النماذج إذا صارت عالمية،فانتقلت من أدب لآخر وهي هنا قد تحتفظ ببعض خصائص جديدة وهذا ما حصل لقصة الليلى والمجنون في الأدبين العربي والفرسي.

1)محمد غنمي هلال، الحياة العاطفية .ص:245-265.

2)حلمي بدير هلال الأدب المقارن ، بحوث ودراسات، دار الوفاء،(د.ط).ص:14.

3)محمد غنمي هلال، الأدب المقارن ،ص:303.